مدينة أسبرطة في العصر العتيق

كانت أسبرطة واحدة من أهم دويلات المدن اليونانية خلال العصرين العتيق والكلاسيكي على السواء، وكانت تشتهر ببراعتها العسكرية. وتقع أسبرطة في وادي نهر يوروتاس Eurotas الخصيب في منطقة لاكونيا في جنوب شرق شبه جزيرة البيلوبونيز.

وتروي الأساطير اليونانية أن مؤسس المدينة هو لاكديمون Lacedaemon ابن زيوس، الذي سُميت المنطقة باسمه وسُميت المدينة باسم زوجته. كانت أسبرطة أيضًا عضوًا مهمًا في القوات اليونانية التي شاركت في حرب طروادة.

نظام الحكم في أسبرطة:

كان النظام السياسي الأسبرطي نظاماً غير عادياً؛ وقام الدستور الأسبرطي على أربعة هيئات تنظيمية رئيسية هي:

١ -الملكان:

حكم المدينة اثنين من الملوك وكانت الملكية وراثيــة؛ وينتمــي الملكــان إلــى عــائلتين عــريقتين منفصــلتين فــي أســبرطة، همــا آل يوروبــونتيس Eurypontids وآل آجيس Agis.

٢ -مجلس الشيوخ (الجيروسيا):

وتتكـون هـذه الهيئـة مـن ٢٨ عضـواً مـن الذكور الذين تجاوزوا الستين عامًا. ويضاف الملكان إلى أعضاء مجلس الشيوخ بحكم منصبهما، فيصبح عدد الأعضاء ٣٠ عضواً.

٣ -مجلس العامة (الأبيلا):

أمــا مجلــس العامــة فكــان يضــم جميــع المــواطنين الأســبرطيين الــذين وصــلوا إلــى ســن الثلاثين عاماً وأتموا مراحل التدريب العسكري، وكان يجتمـع مـرة واحـدة فـي الشـهر، وكانـت سـلطة هـذا المجلس تقتصر على ابداء الموافقة أو الرفض على القوانين التـي تُعـرض عليـه دون مناقشـتها، ويتـرأس الإيفورز (الرقباء الشعبيون) جلسات هذا المجلس.

٤ -الرقباء الشعبيون (الإيفورز):

كانت عددهم خمسة أفراد يتم اختيارهم بنفس طريقة انتخاب الشيوخ من المواطنين، ويمثل كل شخص فيهم حي من أحياء أسبرطة الخمسة، وكانت فترة بقاءهم في مناصبهم هي عام واحد، ولم يكن مسموحاً لهم بتولي أية مناصب بعد تركهم لمناصبهم. ورافق اثنان من الأيفورز الملوك أثناء الحرب إلا أنهم لم يتدخلوا في الخطط العسكرية ولا خط سير المعركة.

ج -تشريعات ليكورجوس:

تُشير الرويات إلى أن النظام الإسبرطي وضعه مشرع يسمى ليكورجوس، جاب بلدان العالم المتمدن آنذاك واطلع على قوانينها وأنظمتها، واستخلص منها ما يتناسب مع الحياة الأسبرطية ومن ثم وضع النظام الأسبرطي المعروف، ويرى البعض أن ليكورجوس Lycurgus شخصية أسطورية وأن هذا النظام قد وضعه مجموعة من المُشرعين، بيد أن أصحاب الرأي الأول يقولون بأن ليكورجوس كان موجوداً بالفعل عام

٧٥٠ ق.م. ويبدو أن ليكورجوس –إن كان شخصية حقيقية– قد قام بتقنين ما كان موجوداً من الأعراف والتقاليد والعادات.

وأساس تشريعات ليكورجوس أن الدولة هي ملك لمواطنيها، وأنها جهاز حرب قوي، وبهذا عملت الدولة على انتاج وتفريخ مواطنين أشداء أقوياء من أجل الدفاع عن المدينة والانخراط في جيشها القوي.

د -الحياة الاجتماعية:

سيطر **المواطنون الأسبرطيون** الذكور على أسبرطة مثل كل المجتمعات اليونانية، وجاء هؤلاء من مجموعة مختارة من العائلات النبيلة. وكون هؤلاء الطبقة الأرستقراطية التي تعتمد على الأرض، وبعد الإصلاحات التي قام بها ليكورجوس Lycurgus في القرن السادس قبل الميلاد (أو حتى قبل ذلك)، لم يكن مسموحاً للمواطنون بالعمل في الأنشطة الزراعية – التي كانت مقصورة على العدد الكبير من الهيلوتيس – لكن كان عليهم تكريس أنفسهم للتدريب الرياضي والعسكري والسياسة. وتمتع هؤلاء بكافة الحقوق وجميع أراضي الدولة هي ملك لهم، وكانت مهنتهم الوحيدة هي

العسكرية والانخراط في الجيش الأسبرطي القوي، وتولي الوظائف العامة، فلهم حق الترشيح لتولى هذه المناصب في الدولة، وكذلك حق الانتخاب لاختيار المرشحين.

والأسبرطيون هم من سلالة الدوريين الغزاة الذين أخضعوا لسلطانهم **الآخيين** الذين كانوا موجودين قبل غزوهم–وحولوهم إلى رعايا تابعين (Perioeki) والكلمة الإغريقية تعنى الرعايا الذين يقيمون على هامش المدينة[1]، وأصبح الآخيون مواطنين من الدرجة الثانية، يكلفهم المواطنون الأسبرطيون بالأعمال التجارية والحرفية التي يعافها هؤلاء، فضلاً عن الالتحاق بالخدمة العسكرية في صفوف المشاة الثقيلة السلاح Hoplites. ومع ذلك لم يعتبر هؤلاء مواطنون، لأنه لم يُسمح لهم بالترشيح للمناصب العامة أو التصويت عليها.

أما **الهيلوتيس** فكانوا محرومين من حقهم في حيازة الممتلكات، وبالتالي فإنهم لم يكونوا مواطنين أسبرطين، وأصبحوا عبيداً محرومين من كافة الحقوق،

---

[1]– سيد أحمد على الناصري: *المرجع السابق*، ص ١٧٤.

ويسخرهم ساداتهم من الأسبرطيين للعمل في حقولهم، مقابل نصيب السدس من المحصول، وتعرضوا لكافة أساليب الظلم والقهر والإذلال، وخدموا في فرق المشاة خفيفة السلاح، وكان لديهم استعداد دائم للتمرد والثورة على السادة الأسبرطيين، ولذلك كانت الحكومة الأسبرطية حريصة على التجسس عليهم وقمع حركات التمرد والثورة في مهدها، وفرض هذا النظام الاجتماعي على المدينة ضرورة الانخراط في التدريبات القاسية والصرامة في التعامل مع العناصر المتمردة، حتى يحافظ السادة الأسبرطيون على سيطرتهم على الطبقات المقهورة. ولم تكن العلاقة بين المواطنين الإسبرطيين والهيلوتس مستقرة؛ وأحياناً كان هناك انتفاضات وتمردات، لاسيما في القرن السابع قبل الميلاد.

هـ -التوسع والهيمنة:

هناك عبارة منسوبة إلى ليكورجوس يقول فيها "...إن أسبرطة مدينة محصنة بالرجال وليس بأسوار من الأحجار..."، وبالفعل ظلت أسبرطة دون أسوار حتى عام ٢٠٠ ق. م.، وليس بمستغرب

أن نجد أن الجيش هو أساس الحياة الأسبرطية، ويقول البعض أن أسبرطة كانت جيش ليس أكثر، ودعمت سلطات أسبرطة هذا الجيش. كما استخدمته للحفاظ على بقائها ووجودها.

أدى عدم الاستقرار في منطقة شبه جزيرة البيلوبونيز إلى تكوين حلف البيلوبونيز (من ٥٠٥ إلى ٣٦٥ ق. م.) الذي كان عبارة عن اتحاد مدن كورنثا وإيليس وتيجيا ومدن أخرى (بإستثناء أرجوس)، حيث أقسم كل عضو من أعضاء الحلف على معاداة من يعادي أسبرطة ومصادقة من يصادقها. ولم تكن عضوية العصبة تقتضي دفع جزية لأسبرطة بل امدادها بالقوات، وكان لأعضاء الحلف حرية تقرير شؤونهم تماماً على ألا يؤثر ذلك على سياسة المدن الأخرى أو يضر بأهداف الحلف. وسمحت العصبة لأسبرطة بالهيمنة على شبه جزيرة البيلوبونيز والسيطرة عليها حتى القرن الرابع قبل الميلاد. وبالإضافة إلى سياستها المحلية هذه في إقليم البيلوبونيز، بدأت أسبرطة منذ القرن

السادس قبل الميلاد بتوسيع مجالات اهتمامها من خلال عمل تحالف مع كرويسوس ملك ليديا وإرسال حملة استكشافية ضد بوليكراتيس Polycrates طاغية ساموس حوالي عام ٥٢٥ ق. م.